

تعدد أوجه الإعراب في الجملة القرآنية

د . محمد حماسة عبد اللطيف *

للقرآن نمطه الخاص في التركيب، الذي يكمن فيه كثير من أسرار إعجازه، وتعدد وجوه هذا الإعجاز، إذ يجد المتمرس بأساليب العربية، وطرائقها في التعبير أن نمط الجملة العربية في القرآن فرد متميز، وقد حاول العلماء على مر العصور معرفة سر هذا الإعجاز الخالص المتجدد وجهدوا في البحث عن سبله، وانتهجوا في ذلك وجهات مختلفة تختلف باختلاف زوايا النظر (١)، وإن كانت جميعاً ترمى إلى غاية واحدة.

وقد رأي الأكثرون من أهل النظر أن إعجاز القرآن إنما هو من جهة بلاغته، وصاروا «إذا سئلوا عن تحديد هذه البلاغة التي اختص بها القرآن، الفائقة في وصفها سائر البلاغات، وعن المعنى الذي يتميز به عن سائر أنواع الكلام الموصوف بالبلاغة، قالوا إنه لا يمكننا تصويره ولا تحديده بأمر ظاهر فقام به مباينة

• أستاذ النحو والصرف بكلية دارالعلوم، جامعة القاهرة.

(١) انظر ما لخصه السيوطي من وجهات النظر المختلفة في بيان إعجاز القرآن في كتابه «الإتقان في علوم القرآن» الجزء الثاني من صفحة ١٩٧ إلى صفحة ٢١٢ ط حجازي ١٣٦٠هـ.

القرآن غيره من الكلام ، وإنما يعرفه العالمون به عند سماعه ضرباً من المعرفة لا يمكن تحديده ، وأحالوا على سائر أجناس الكلام الذى يقع فيه التفاضل فتقع في نفوس العلماء به عند سماعه معرفة ذلك ويتميز في أفهامهم قبيلُ الفاضل من المفضول منه" وقالوا "وقد يخفى سببه عند البحث ويظهر أثره في النفس حتى لا يلتبس على ذوى العلم والمعرفة به" وقالوا "قد توجد لبعض الكلام عذوبة في السمع وهشاشة في النفس لا توجد مثلها لغيره منه ، والكلامان معا فصيحان ثم لا يوقف لشيء من ذلك على علة"(١) .

وموقف هؤلاء - برغم ما قيل عنه - يكشف عن إعظام لجلال القرآن وإكبار لأسرار إعجازه ، إذ يستصغرون كل سبب دون إحكام بلاغته ، ولا يجدون فيما يقدم لشرح إعجازه ما يعدل هذه المكانة العليا من البيان المعجز ، وهم يسلمون مع غيرهم بأن نظم القرآن - على تصرف وجوهه وتباين مذاهبه - "خارج" عن المعهود من نظام جميع كلامهم ، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد"(٢) مصداقاً لقوله - عز وجل - (قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتْ

(١) بيان إعجاز القرآن للخطابى : ٢٤ (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تحقيق محمد خلف الله أحمد ود. زغلول سلام - ذخائر العرب ١٦) وقد رد الخطابى على هذا المذهب بأنه لابد أن يكون لهذه المحاسن سبب حاول شرحه في رسالته المشار إليها ، وبالغت الدكتورة بنت الشاطى فرمت أصحاب هذا الاتجاه بالجهل (انظر : الإعجاز البياني للقرآن : ١٢١ دار المعارف بمصر) .

(٢) إعجاز القرآن للباقلانى : ٣٥ (تحقيق السيد أحمد صقر - دار المعارف) .

الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً (١) ولكن هذا لم يمنع الباحثين من مواصلة البحث عن سر هذا الإعجاز وتلمس أسبابه .

والذي أود أن أعرض له هنا مسألة لم يعرض لها أحد من قبل - في مبلغ علمي - على أنها وجه من وجوه إعجاز القرآن ، وهي تعدد أوجه الإعراب في الجملة الواحدة ، ويكون لكل وجه منها - من غير شك - معنى يراد وغاية تقصد .

وأعتقد أنه ليس هناك من يجادل في أن لغة القرآن الكريم "لغة مكتوبة" واللغة المكتوبة تفتقد إلى عنصرين مهمين في تحديد المراد من الحديث المنطوق :

أولهما : ما يلبس الموقف اللغوي من حركات باليد والجسم والرأس وتعبير بالوجه والعين وغير ذلك ، وهذا قد يغنى أحيانا عن ذكر بعض العناصر اللغوية .

ثانيهما : ما يصاحب الكلام المنطوق من علو في الصوت أو انخفاض فيه وضغط على بعض الكلمات دون بعضها أو ما يمكن أن يسمى عنصر "التنغيم" ، والتنغيم يقوم بدور مهم من الحديث المنطوق إذ يكفي - أحيانا - مط كلمة في بيان المراد منها ولذلك تحذف صفتها مثلا ، وقد شرح ابن جني هذه المسألة بعبارة

(١) الآية ٨٨ من سورة الإسراء .

واضحة إذ يقول : "وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها ^(١) ، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب (يقصد سيبويه) من قولهم : سیرَ عليه ليلٌ ، وهُم يريدون : ليلٌ طويلٌ . وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها ، وذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله : طويل أو نحو ذلك . وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأملتَه ، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول : كانَ والله رجلاً ! فتزيد في قوة اللفظ بـ (الله) هذه الكلمة ، وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها ، وعليها ، أى : رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك . وكذلك تقول : سألناه فوجدناه إنساناً ! وتمكّن الصوت بإنسان وتفخّمه فتستغنى بذلك عن وصفه بقوله : إنساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك ، وكذلك إنْ ذمّمته ووصفته بالضيق قلت : سألناه وكان إنساناً ونروى وجهك وتقطبه فيغنى ذلك عن قوله : إنساناً لئيماً أو لحزاً أو مُبَخِّلاً أو نحو ذلك" ^(٢) .

وقد اختلف النحاة في توجيه كثير من الجمل القرآنية ، وعاب بعض المحدثين عليهم هذا الاختلاف ، ولكن النحاة كانوا يحاولون بتوجيهاتهم المختلفة أن يقدموا عدة احتمالات للغة العليا التي تفتقد إلى ملابسات الحال أو الموقف اللغوى في حال النطق ، فتعدد

(١) مراده بالحال : الموقف اللغوى الذى يكون فيه الحديث وما يصاحبه من ملابسات حركية وصوتية وغيرهما .

(٢) الخصائص لابن جنى ٢/٣٧٠ ، ٣٧١ (ط دار الكتب ١٣٧٤ هـ ، تحقيق محمد على النجار) .

الأوجه الإعرابية في هذه الحال لا يمكن أن يُعدَّ دليلاً على عدم أهمية الإعراب أو على الترخص في العلامة الإعرابية ، ولكنه تفسيرٌ للغة المكتوبة ، وإسباغ مواقف ملائمة لكل حالة أو وجه من الوجوه .

وتعدد أوجه الإعراب بهذا الفهم ضربٌ من ضروب إعجاز القرآن ودليلٌ على ثراء نصه وخصوبة عطائه وتعدد إشعاعه بحيث تبدو الجملة القرآنية كالماسة المشعة أنى استقبلتها أَلْقَتْ عَلَيْكَ بأضواء .

وفي كثير من هذه الأوجه الإعرابية المختلفة كان النحاة يهتدون بقراءة أخرى ، أو بآية أخرى في موضع آخر ، وقد قرروا "أن القراءة لا تُخَالَفُ لأنها السُّنَّة" ^(١) ومن المعروف أن "القراء لا تقرأ بكل ما يجوز في العربية" ^(٢) .

وإذا كان فقدان عنصرى ملابسة الحال والتتغيم قد ساعد على القول بتعدد الأوجه الإعرابية فإن منهج النحاة في النظر إلى اللغة أيضاً قد ساعد من جانب آخر على ذلك ، وسوف أجمل هذه الأسباب مع ذكر نماذج من الآيات القرآنية لكل منها .

أولاً : قد يتفق النحاة على أن هناك عنصراً محذوفاً في الجملة ، ولكنهم يختلفون في تحديد هذا المحذوف ، وتتعدد أوجه الإعراب بسبب الاختلاف في تقديره . ومما تعددت فيه الأوجه

(١) الكتاب لسبيويه ١٤٨/١ (تحقيق عبد السلام هارون ط . دار القلم) .

(٢) معاني القرآن للقراء ٢٤٥/١ (ط دار الكتب) .

الإعرابية بسبب الاختلاف في المحذوف قوله تعالى (وإن تُخَالِطُوهُمْ فإِخْوَانُكُمْ) ^(١) حيث ترفع كلمة إخوانكم على تقدير ضمير "فهم" كأنك قلت "فهم إخوانكم" يقول الفراء "ولو نصبته كان صواباً ، يريد : فإِخْوَانُكُمْ تخالطون . ومثله "فإن لم تعلموا آبائهم فإِخْوَانُكُمْ في الدين ومواليكم" ^(٢) ولو نصبت وهنا على إضمار فعل : ادعوه إخوانكم ومواليكم . وفي قراءة عبد الله "إن تعذبهم فعبادك" ^(٣) ، وفي قراءة "فإنهم عبادك" ^(٤) . فجواز الرفع والنصب آت من تقدير المحذوف فإن قدرت ضميراً فكلمة إخوانكم خبر مرفوع ، وإن قدرت فعلاً فالضميمة المذكورة مفعول به ، وهنا تكون كلمة (فإِخْوَانُكُمْ) جملة فعلية ، وعلى التقدير الأول جملة اسمية ، والمعنى لا بد أن يختلف باختلاف التقدير ، ولكن الاختلاف هنا دقيق ولطيف غاية في الدقة واللفظ فإذا كانت الجملة "فهم إخوانكم" فالمعنى أن هذا أمر ثابت مقرر ولا غضاضة فيه . وإذا كانت "فإِخْوَانُكُمْ تخالطون" فالمعنى أن لا بأس من استخدام هذه السنة الحميدة مع إخوانكم .

وكتب إعراب القرآن مليئة بهذا النوع من تعدد الأوجه ، وبعضها لم ترد به قراءة كما في الحالة السابقة التي قيس فيها آية البقرة على آية المائدة ، وبعضها الآخر وردت به قراءة أو

(١) الآية ٢٢٠ من سورة البقرة .

(٢) سورة الأحزاب من الآية ٣٣ .

(٣) سورة المائدة ، من الآية ١١٨ .

(٤) معاني القرآن للفراء ١/١٤١ ، ١٤٢ وانظر : ٤٢٥ .

أكثر ، ومن نماذج ذلك قوله تعالى (قالوا معذرة إلى ربكم)^(١) فقد قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي بالرفع (معذرة) وروى حسين الجعفي عن أبي بكر وحفص عن عاصم (معذرة) نصبا وهي إحدى روايتين عن عاصم^(٢) يقول الفراء : "وأكثر كلام العرب أن ينصبوا المعذرة ، وقد أثرت القراءة رفعها ، ونصبها جائز ، فمن رفع قال : هي معذرة ، كما قال : (إلا ساعة من نهار بلاغ)^(٣) . وقد وجه ابن خالويه قراءة الرفع والنصب في الآية قائلا : فالحجة لمن قرأه بالرفع أنه أراد أحد وجهين من العربية إما أن يكون أراد : قالوا موعظتنا إياهم معذرة ، فتكون خبر ابتداء محذوف أو يضمن قبل ذلك ما يرفعه كقوله (سورة أنزلناها)^(٤) يريد : هذه سورة . والحجة لمن نصب أن الكلام جواب ، كأنه قيل لهم : تعظون قوماً هذه سبيلهم ؟ قالوا نعظهم اعتذاراً ومعذرة"^(٥) .

وهكذا نجد أن النحاة يحاولون أن يرسموا موقفا لغويا حيا بحيث تبدو العلامة الإعرابية فيه مؤدية لدورها الصحيح ، يقول أبو حيان في محاولة منه لبيان ما يدل عليه رفع كلمة (معذرة) ونصبها "وقرأ الجمهور معذرة بالرفع أى : موعظتنا إقامة عذر إلى الله ،

(١) سورة الأعراف ، من الآية : ١٦٤ .

(٢) انظر السبعة في القراءات ٢٩٦ (تحقيق د. شوقي ضيف - دار المعارف) .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢٠٥/١ ، والآية من سورة الأحقاف : ٣٥ .

(٤) سورة النور الآية : ١ .

(٥) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه : ١٤١ (تحقيق د. عبد العال سالم مكرم) .

ولئلا ننسب في النهي عن المنكر إلى بعض التقریط ، ولطمعنا في أن يتقوا المعاصي ، وقرأ زيد بن علي وعاصم في بعض ما روى عنه وعيسى بن عمر وطلحة بن مصرف معذرةً بالنصب أي وعظناهم معذرة ^(١) فالنصب هنا لإفادة تعليل الموعظة وقد قال أبو البقاء العكبري : من نصب فعلى المفعول له أي وعظنا للمعذرة ، وقيل هو مصدر أي نعتذر معذرة ^(٢) فهو إذن مفعول مطلق يؤكد الاعتذار .

ثانيا : أشرت من قبل إلى أن النص القرآني يعد نصا مكتوبا ، وهو لذلك يفتقد عنصر التنغيم الذي قد يغنى عن بعض الأدوات ، كأدوات الاستفهام على سبيل المثال ، ولما كان القرآن الكريم يعد نصا مكتوبا فقد حاول النحاة تبين ما تتحمله الجملة القرآنية من دلالات ، ويدخل تحت عنصر التنغيم نغمة الوقف والابتداء ، وهناك مؤلفات مستقلة في هذا المجال أشهرها الوقف والابتداء لابن الأنباري المتوفى سنة (٣٢٨هـ) ومن نماذج ذلك إعراب (والراسخون في العلم) في قوله تعالى : (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون ١٠) ^(٣) - فقد تكون معطوفة على لفظ الجلالة ، وقد تكون مبتدأ خبره (يقولون) يقول العكبري : "والراسخون معطوف على اسم الله ، والمعنى أنهم يعلمون تأويله أيضا ، و(يقولون) في موضع نصب على الحال ، وقيل

(١) البحر المحيط لأبي حيان ٤/٤١٢ .

(٢) إملأ ما من به الرحمن ١/٢٨٧ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ٧ .

و(الراسخون) مبتدأ و(يقولون) الخبر ، والمعنى أن الراسخين لا يعلمون تأويله بل يؤمنون به^(١) . وقد رجح الفراء الإعراب الثانى مستدلاً بقراءة أبى وعبد الله^(٢) ، ففى قراءة أبى (ويقول الراسخون) وفى قراءة عبد الله "إن تأويله إلا عند الله ، والراسخون فى العلم يقولون" . ومما لا شك فيه أن فقدان التنغيم هو الذى دفع النحاة إلى هذا المسلك فقدموا ما يمكن أن تكون عليه الجملة ، ولا شك أن نغمة العطف - فى الحديث - تختلف عن نغمة الاستئناف وابتداء جملة جديدة ، ولعل هذا - كما قلت - من إشعاعات النص القرآنى ، إذ ينبى على كل وجه معنى مختلف عن المعنى الذى يفيد وجه آخر ، وتعدد الأوجه تتعدد المعانى ، وبذلك يتيح النص القرآنى فرصة للاجتهاد .

ولعل هذه الآية التالية أوضح فى الدلالة على ما نحن بصددده ففى قوله تعالى "يا أبا ناس ما نبغى هذه بضاعتنا ردت إلينا"^(٣) قالوا إن (ما) استفهامية ، ويجوز أن تكون نافية^(٤) ولعله من الواضح بمكان أن نغمة الاستفهام تغاير نغمة النفى ، وهناك فى الكتاب العزيز نماذج أخرى كثيرة من ذلك قوله تعالى : "واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك

(١) إملاء ما من به الرحمن للعبرى ١/ ١٢٤ .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١/ ١٩١ .

(٣) سورة يوسف من الآية ٦٥ .

(٤) انظر معانى القرآن ٢/ ٤٩ وإملاء ما من به الرحمن ٢/ ٥٥ والبيان فى غريب أعراب

القرآن ٢/ ٤٣ .

عنهم تريد زينة الحياة الدنيا" (١) قد تكون جملة "تريد زينة الحياة الدنيا" في موضع الحال فيكون التقدير : ولا تعد عينك عنهم مريداً زينة الحياة الدنيا . وقد تكون استئنافية وتكون استفهامية حذفت منها أداة الاستفهام ، ويكون في هذا من العتب ما فيه إذ يستتكر عليه أن يكون مريداً زينة الحياة الدنيا .

وكذلك في قوله تعالى (يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك) (٢) يجوز في جملة "تبتغى مرضاة أزواجك" أن تكون جملة حالية أو جملة مستأنفة استفهامية حذفت منها الأداة ، وهذا مما تفعله العربية اعتماداً على نغمة الكلام .

ثالثاً : في العربية كلمات كثيرة لا تظهر عليها علامات الإعراب ؛ ومنها المكنى الذى لا يعرب وهو الضمير : "والمكنى لا يعرب لأن المكنى يضارع المبهم " كما يقول ابن خالويه (٣) ، ومعنى كونه لا يعرب أنه لا تظهر عليه علامة الإعراب ، وإلا فإننا نعربه أى نبين وظيفته النحوية في الجملة فنقول إنه فاعل أو مفعول به أو مبتدأ أو خبر إلى آخره ، ومن ذلك الاسم الموصول ، ويسميه ابن خالويه الاسم الناقص "ولا علامة فيه لأنه اسم ناقص يحتاج إلى صلة وعائد" (٤) وهكذا كل الأسماء المبنية ، وكذلك

(١) سورة الكهف ، من الآية : ٢٨ .

(٢) سورة التحريم ، الآية : ١ .

(٣) إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه : ٤٨ .

(٤) السابق : ٥٥ .

الاسم المقصور لا يتبين فيه الإعراب لأن آخره ألف مقصورة ،
والمضاف إلى ياء المتكلم لا علامة فيه كذلك لأن الياء تذهب
بالعلامة^(١) .

ومع خلو هذه الأسماء من علامات الإعراب قرر النحاة أن
بها في الجملة علامات إعرابية مقدرة ، وتقدير العلامة ليس إلا
مراعاة للحالة الإعرابية أو للوظيفة التي تشغلها الكلمة في الجملة
والربط بين هذه الوظيفة وعلامتها الإعرابية ، ومن المقرر أن
تحديد وظيفة الكلمة في الجملة لا يتم إلا بسبب تضافر مجموعة من
القرائن المختلفة من لفظية ومعنوية ، ولذلك يمكن إعراب
الكلمة الخالية من العلامة الإعرابية بحيث لا تظهر فيها العلامة
الإعرابية على الإطلاق ، وإعرابها في هذه الحال لا تقوم به
العلامة ولا تدل عليه ، وإنما الذى يدل عليه فهم قرينة السياق
التي تصب فيها كل القرائن الأخرى ، وقد يقدم النحاة عدة
احتمالات في الجملة القرآنية الواحدة يتقبلها السياق ويستجيب
لها المعنى .

ومن أمثلة ذلك ما قالوه في إعراب قوله تعالى "الم .
ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين"^(٢) " حيث قالوا : إن
"هدى" يحتمل أن يكون في موضع رفع ونصب ، فالرفع من
أربعة أوجه :

(١) انظر المصدر السابق : ٥٤ ، ٧٩ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١ ، ٢ .

الأول : أن يكون خبر مبتدأ مقدر ، وتقديره : هو هدى .

والثاني : أن يكون خبرا بعد خبر ، فيكون (ذلك) مبتدأ
و(الكتاب) عطف بيان و(لا ريب فيه) خبر أول ، و(هدى) خبر
ثان .

والثالث : أن يكون مبتدأ و (فيه) خبره ، والوقف على هذا
القول على (لا ريب) .

والرابع : أن يكون مرفوعا بالظرف على قول الأخفش
والكوفيين والنصب على الحال من (ذا) أو من (الكتاب) أو من
الضمير في (فيه) . فإن جعلته حالا من (ذا) أو من الكتاب
فالعامل فيه معنى الإشارة وإن جعلته حالا من الضمير فالعامل فيه
معنى الفعل المقدر وهو استقر^(١) ويتجاوز الزمخشري هذه الأوجه
الإعرابية المختلفة إلى ما يترتب عليها من الفهم والمعنى فيقول :
"والذى هو أرسخ عرقا في البلاغة أن يضرب عن هذه المحالّ
صفحا وأن يقال : إن قوله (الَمْ) برأسها ، أو طائفة من حروف
المعجم مستقلة بنفسها ، و(ذلك الكتاب) جملة ثانية و (لا ريب
فيه) ثالثة و (هدى للمتقين) رابعة ، وقد أصيب بترتيبها مفصل
البلاغة وموجب حسن النظم حيث جئ بها متناسقة هكذا من غير
حرف نسق وذلك لمجيئها متأخية آخذا بعضها بعنق بعض ، فالثانية
متحدة بالأولى معتقة لها ، وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة بيان ذلك

(١) البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري ٤٥/١ ، ٤٦ ، وانظر إملاء ما من به
الرحمن للعكبري ١٠/١ ، ١١ وقارن بمعاني القرآن للفراء ١/١ ، ١٢ .

أنه نبيه أولاً على أنه الكلام المتحدى به ، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريراً لجهة التحدى وشدا من أعضاده ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلاً بكماله لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة ٠٠ ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ثم لم تخل كل واحدة من الأربع بعد أن رتب هذا الترتيب الأنيق ونظمت هذا النظم السرى من نكتة ذات جزالة ، ففي الأولى^(١) الحذف والرمز إلى الغرض بألطف وجه وأرشفه ، وفي الثانية^(٢) ما في التعريف من الفخامة ، وفي الثالثة^(٣) ما في تقديم الريب على الظرف ، وفي الرابعة^(٤) الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وإيراده منكرا والإيجاز في ذكر المتقين^(٥) . ولعلك رأيت معنى أن الزمخشري قد حاول أن يرتب معنى على اعتبارات تقسيم هذه الآية إلى تلك الجمل ، مع أن هذه الآية تحتل أوجها أخرى غير التي ذكرها ، والذي أعان على هذا كله هو أن بها بعض الكلمات التي لا تظهر عليها علامات الإعراب إما لأنها مبنية مثل (ذلك) أو لأنها اسم مقصور مثل

(١) وهى قوله تعالى (الم) .

(٢) وهى قوله تعالى : (ذلك الكتاب) .

(٣) وهى قوله تعالى : (لا ريب فيه) .

(٤) وهى قوله تعالى : (هدى للمتقين) .

(٥) تفسير الكشاف للزمخشري ٢١/١ .

(هدى) • ونماذج هذا الضرب في القرآن الكريم كثيرة جداً وتجد صداها في كتب التفسير وكتب إعراب القرآن •

رابعاً : في العربية عدد محدود من علامات الإعراب يتوزع على الوظائف النحوية المختلفة ، وبطبيعة الحال لا بد أن تشترك أكثر من وظيفة نحوية في علامة واحدة كاشتراك وظيفة المبتدأ والخبر والفاعل ونائب الفاعل واسم كان وخبر إن في الرفع ، واشتراك المفاعيل الخمسة والحال والتمييز والمنادى المنصوب مثلاً في النصب ، ومن هنا لا يمكن القول بأن العلامة الإعرابية وحدها هي التي تحدد المعنى النحوي المعين ، بل لا بد من أن تكون هناك في الجملة وسائل أخرى تعين على تحديد هذا المعنى النحوي ، وهي ما سماها الأستاذ الدكتور تمام حسن^(١) "القرائن" وبسطها على مدى كتاب بأكمله وشرح القول فيها •

وهنا نجد أن اشتراك أكثر من معنى نحوي كالفاعلية والابتداء والخبرية وغيرها في علامة الرفع مثلاً كان مدعاة لتعدد الأوجه الإعرابية في الكلمة الواحدة ، وبخاصة في الجملة القرآنية ، ومن ذلك أننا نجد النحاة في إعراب قوله تعالى "غير المغضوب عليهم"^(٢) "يجيزون في (غير) الجر والنصب ، ويلفت النظر هنا أن الجر علامته واحدة في هذه الكلمة ومع ذلك تتعدد المعاني المرتبطة به يقول ابن الأنباري "فأما الجر فمن ثلاثة أوجه :

(١) انظر : اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسن •

(٢) سورة الفاتحة الآية ٧ •

أحدها : أن يكون مجرورا على البدل من الضمير في
(عليهم) .

والثاني : أن يكون مجرورا على البدل من (الذين) .

والثالث : أن يكون مجرورا على الوصف (للذين) لأنهم لا
يقصد بهم أشخاص مخصوصة فجرى مجرى النكرة فجاز أن يقع
وصفا له وإن كانت مضافة إلى معرفة^(١) فعدم تحديد المبدل منه ،
وعدم تحديد البدلية من النعتية أجاز هذه الأوجه المختلفة وسوغ
ذلك اشتراكها في هذه الحالة في علامة إعرابية واحدة ، ويبين
الزمخشري ما يترتب من المعنى على كون (غير) بدلا أو صفة
فيقول "غير المغضوب عليهم" بدل من "الذين أنعمت عليهم" على
معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال ،
أو صفة على معنى أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة
الإيمان وبين السلامة من غضب الله والضلال^(٢) " وقيل في نصبه
إما أن يكون منصوبا على الحالية أو بتقدير (أعنى) فيكون مفعولا
به أو على أنه استثناء منقطع وقد سوغ هذه الأمور اشتراكها في
علامة إعرابية واحدة ولكل وجه منها معنى يراد وغاية تطلب .

ومهما يكن من أمر ، فإن هذا جانب حاولت أن ألفت النظر
إليه ، وإنى لأعلم أن كثيرين ينفرون من دراسة النحو لأسباب
كثيرة منها هذه الأوجه المتعددة ، ولكنهم لو راضوا أنفسهم عليها

(١) البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري ٤٠/١ وانظر معاني القرآن ٧/١ .

(٢) الكشف للزمخشري ١١/١ .

لفقها ، وهى ليست بالعسيرة على كل حال ، وقد بذل النحاة جهدا كبيرا في كل لغة مكتوبة - وكل تراثا مكتوب - وحاولوا تقديم بديل عن الموقف اللغوى الذى يكون الكلام فيه محوطا بملابسات أخرى تجعل للجملة الواحدة معنى واحدا مقصودا ، أما اللغة المكتوبة - وأخص من بينها القرآن الكريم لأن هذه السمة تكاد تكون خاصة به - فإنها تحتاج إلى توضيح لموقفها ، ولا يتم ذلك إلا ببيان الإمكانات المحتملة فى أوجهه الإعرابية ، وقد قدم النحاة للقرآن الكريم كثيرا من الجهد - ولا غرابة في ذلك فقد قامت الدراسات اللغوية كلها من أجله - فيما يسمى بكتب مجاز القرآن أو معانى القرآن أو إعراب القرآن أو كشف مشكله الخ ، وليس هناك من فرق بين المجاز والمعانى والإعراب فكلها جهود صادقة مخصصة تحاول الكشف عن بعض أسرار هذا الكتاب الخالد ، ولكنهم لم يشيروا إلى أن هذا الجانب يعد من إعجاز القرآن العظيم (١) .

(١) لا ينقض هذا محاولة عبد القاهر الجرجاني الفذة في فهم أسرار الإعجاز القرآنى من خلال "النظم" الذى يجعله مرتبطا بمعانى النحو ، فإن عبد القاهر قد تعامل مع الآيات القرآنية على الوجه الذى وردت به في القراءة المعروفة وعلى الوجه الأظهر في الإعراب ، ولم يشر إلى أن تعدد أوجه الإعراب في الجملة الواحدة يعد من أوجه الإعجاز القرآنى ، والذى أود الإشارة إليه أن محاولة عبد القاهر تتعامل مع وجه واحد من وجوه الجملة القرآنية ، وما أقول به إن الجملة التى تحتل أوجها أخرى يعد كل وجه منها جملة معينة تحتاج إلى فهم جديد ، وقد يترتب على هذا الوجه أو ذاك حكم فقهي يتخذه بعض المسلمين أساسا في التعبد والمعاملة وهذا هو الجانب الذى ألقت النظر إليه وأدعو إلى إعادة بحثه من زوايا الإعجاز القرآنى .

- ابن الأنباري (كمال الدين أبو البركات بن محمد بن أبي سعيد الأنباري)

* البيان في غريب إعراب القرآن (تحقيق الدكتور طه عبد الحميد) دار الكاتب

العربي بالقاهرة ١٩٦٩م .

- الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد)

* دلائل الإعجاز ، شرحه محمود محمد شاكر . مكتبة الخانجي .

- ابن جنى (أبو الفتح عثمان)

* الخصائص (تحقيق محمد علي النجار - دار الكتب ١٩٥٢م)

- حسان (الدكتور تمام)

* اللغة العربية معناها ومبناها (الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة

١٩٧٢) .

- أبو حيان (محمد بن يوسف بن علي)

• البحر المحيط - القاهرة مطبعة السعادة ١٣٢٨هـ .

- ابن خالويه (الحسين بن أحمد)

• إعراب ثلاثين سورة من القرآن - الطبعة الأولى ١٣٦٠هـ دار الكتب

المصرية .

- الخطابي (أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم)

* بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - تحقيق محمد

خلف الله د . زغلول دار المعارف ط . ثانية ١٣٨٧هـ .

- الزمخشري (جاء الله أبو القاسم محمود بن عمر)

• الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (القاهرة ١٣٥٤هـ)

- سيويه (أبو بشر عمرو بن قنبر)
- الكتاب (المطبعة الأميرية ببولاق ١٣١٧هـ)
- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)
- الإتيان في علوم القرآن (مطبعة حجازي بالقاهرة ١٩٤١م).
- العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله)
- إملأ ما من به الرحمن (تصحيح وتحقيق إبراهيم عطوة ١٩٦٩
القاهرة)
- الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد)
- معاني القرآن (ج١ تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار
١٩٥٥، ج٢ تحقيق محمد علي النجار — الدار المصرية للتأليف
والترجمة، ج٣ تحقيق الأستاذ علي النجدي ناصف والدكتور عبد
الفتاح شلبي — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م).
- ابن مجاهد (أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس)
- السبعة في القراءات تحقيق الدكتور شوقي ضيف دار المعارف ١٩٧٢م